الثورة ALTHAWRAH

الاربعاء : 4 ذو الحجة 1434هـ >9 اكتوبر 2013م > العدد 17856

Wednesday : 4 Thu Al Hejah 1434 - 9 October - Jssue No. 17856

•فيصل عبداللطيف مع الزعيم جمال عبدالناصر

من قادة الجبهة القومية الرافضين لمشروع الدمج."حيث قضى 9 شهور لفيصل وسنة ونصف لقحطان ".

وقتذاك كتب وأصدر فيصل كتيبات أخرى اندثرت بسبب المصادرة والمنع الذي طالها عقب رحيله رغم اهميتها التدوينية كـ«أضواء على الثورة في جنوب اليمن المحتل» و«مؤتمر لندن للخيانة». و«كيف نفهم تجربة اليمن الجنوبية الشعبية» شاركه في تأليفه كل من:علي عبدالعليم، عبدالفتاح اسماعيل وخالد عبدالعزيز.

وتذكيراً ، يحكي الفنان القدير محمد محسن عطروس صاحب اشهر اغنية قاومت الاستعمار حينها «برع يا استعمار من أرض الاحرار» أنه كتبها بإيعاز خاص وحثيث من فيصل الذي طلبه إلى القاهرة بهذا الخصوص.

ولقد تمكن فيصل حينها بمساعدة حركة القوميين العرب من الإفلات والسفر إلى بيروت ومنها عاد لليمن. والمؤكد أنه بعودته تعززت الجبهة الداخلية للجبهة أكثر وركزت ضرباتها، فيما كانت الجماهير في الجنوب تتظاهر يومياً لتأييد الجبهة القومية كممثل وحيد لتطلعاتها، ما خلخل ممارسات خصوم الجبهة على أكثر من صعيد عسكري وسياسي وتنظيمي.

***

عقب هزيمة العرب في 5 يونيو 67 كادت تنتكس نفسية فيصل عبداللطيف الشعبي،الا أنه بعد اسبوعين فقط ساهم بشدة في انتفاضة طلاب مدرسة الأمن بمساندة ضباط وجنود الأمن والجيش على قوات الاستعمار بحيث خاضوا معارك شرسة بقيادته أسفرت عن الاستيلاء على مدينة كريتر.

وما لم يكن في الحسبان انفجار الاقتتال الأهلي قبيل الاستقلال بين شريكي الكفاح الجبهة القومية وجبهة التحرير خلال 3-6نوفمبر. وفي 6نوفمبر أعلن الجيش العربي في القوات البريطانية ولاءه للجبهة القومية. ثم في 13 نوفمبر اعلنت بريطانيا استعدادها للتفاوض حول استقلال الجنوب العربي مع الجبهة القومية كممثل وحيد للشعب.

شكلت القيادة العامة للجبهة القومية وفداً برئاسة أمينها العام قحطان للسفر إلى جنيف للتفاوض بشأن الاستقلال، وكان أبرز اعضاء الوفد إلى جانبه بشهادة البريطانيين فيصل وعبدالفتاح وسيف الضالعي، بينما ضم كلاً من خالد محمد عبدالعزيز، ومحمد أحمد البيشي، والعقيد عبدالله صالح عولقي، وعبدالله عقبة (مترجماً)،واحمد علي مسعد (سكرتيراً) إلى جانب هيئة استشارية في مختلف المجالات، ضمت المقدم حسين المنهلي، محمد أحمد عقبة، المقدم محمد أحمد السياري، د. محمد عمر الحبشي، ملكة عبدالاله أحمد. أبوبكر سالم قطي، عادل خليفة.

امتدت المفاوضات من 21إلى 29 نوفمبر 1967 حتى وقع الجانبان على وثيقة الاستقلال. وفي صبيحة اليوم التالي أصدرت القيادة العامة للجبهة قراراً بتعيين أمينها العام رئيساً للجمهورية وقائداً أعلى للقوات المسلحة،كما كلفته بتشكيل حكومة الدولة المستقلة: تولى فيصل عبداللطيف وزارة التجارة والاقتصاد والتخطيط فيها، ثم في 5 ابريل 1969 تولى رئاسة الوزراء ووزارة الخارجية.

***

انتقل الجنوب اليمني من حكم السلاطين والاستعمار البريطاني إلى مرحلة جديدة لكن للأسف لم تكن بقدر التطلعات والتضحيات الجسام، إذ كانت النوايا لإنشاء تنظيم جماهيري يقود الشعب في مرحلة البناء القادمة، وسرعان ما تفجرت الاختلافات بين رفاق الجبهة حول ماهيته وماهية الدولة، وأساليب إدارتها، وتحديد منهجها وسياستها الخارجية، ما قاد إلى انشقاق الجبهة إلى جناحين، كما هو معروف، أحدهما يدعو إلى ضرورة تغيير جذري وسريع في الحكم، قاده عبدالفتاح إسماعيل، سلطان أحمد عمر، عبدالله الاشطل، عبدالله الخامري، وسالمين، علي صالح عباد، ومحمد علي هيثم. وآخر يدعو إلى تغيير تدريجي متريث على رأسه، قحطان، سيف الضالعي، أحمد صالح الشاعر، وعلي عبدالعليم.

بذل فيصل الذي صار بنفوذ تنظيمي وتنظيري واسع دوراً كبيراً لحل الخلاف. وكان مع درء الحس المؤامراتي التدميري، وعدم القبول بتحريضات الرفاق ضد بعضهم.

كانت طبيعة فيصل ضد الاعمال المنفردة، وضد الانجرار إلى مواقف لا يرضاها كل طرف.

كان ضد العداء المباشر للدول وللجيران تحديداً لأن هذه العداوات لا تنم عن سياسة وديبلوماسية ووعي بالتاريخ وبالجغرافيا، كما أنها لن تصب في المصلحة العليا والمستقبلية للدولة الوليدة.

وفي تلك الفترة تحملت حكومته ما لم يكن في حسبان موازنتها وخططها، حيث عالج فيصل بروح رفاقية ووحدوية عالية أوضاع الحركيين الذين نزحوا العدن وغيرهم هرباً من بطش نظام 5 نوفمبر وعقب احداث اغسطس الدامية في صنعاء، لكنه تحسس للغاية تلك الفترة أيضاً من عدم دعوته وقادة جنوبيين في حركة القوميين للمشاركة في تاسيس الحزب الديمقراطي الثوري اليمني، إذ كان الرفاق وضعوا الحزب بديلا لفرع حركة القوميين العرب اقليم اليمن -هكذا بدت الصورة له- بينما تنظيم فرع الحركة تنظيم واحد وقيادته واحدة ووحدوية شمالاً وجنوباً.!

***

الثابت أن فيصل كان انموذجاً رفيعاً كانسان وكقائد إذ كان زاهداً عن السلطة كما يجمع كل من عرفوه، كذلك كان اعتداده بذاته جزءاً رئيساً من كرامته التي لا يساوم فيها ولا يمكن أن يخضعها للابتزاز أو الاساءات. غير أن الاقدار وضعته على راس عملية بناء وإدارة الدولة الجديدة، وبالتالي في خضم حساسيات ايديولوجية عارمة انطوت عليها المرحلة.

كان الرجل اشتراكياً معتدلاً ، وكان يقاوم ضغط يمين الجبهة القومية وضغط يسار الجبهة في وقت واحد، ولقد كان كل منهما يريد فرض سياسته عليه وعلى المرحلة وعلى المستقبل. تفسيري الشخصي أن تكوينه الراجح الوسطي العقلاني هو السبب وليس كما قد يعتقد احدهم أنه ربما ليس رجل مواقف.فالمعلوم أن عديد قياديين في تلك الفترة من الجهتين اصابتهم حساسيات الزعامة والمغامرات اللامحسوبة، اضافة إلى امراض العشائرية التي تورط فيها كل طرف بوعي أو بدون وعي، حتى أن قلة من الساسة حينها فقط كانوا أكثر تبصرا وبروح وفاقية وبحس سياسي اخلاقي على راسهم-بل اكثرهم تميزاً- فيصل عبداللطيف .

كان فيصل يسعى بمرونة فائقة نحو الوحدة والوفاق والإجماع مولياً اهمية سياسية قصوى للحوار، كما كان لا يريد أن يفاجأ بمواقف ورهانات غير محسوبة تتخذ ويحشر فيها حشرا.

واصل التعبير عن اعتقاده الخاص ولم ينظر إلى الاختلاف من ناحية شخصية وانما من ناحية سياسية وفكرية موضوعية كما هي عادته حسب اجماع غالبية من عرفوه .

كان يمسك العصا من المنتصف ولا يريد للمخاطرات أن تنسب مخالبها وأنيابها في الجميع. ومن الطبيعي القول أن هناك من كان يؤجج الوضع حتى خرج عن السيطرة، إذ بينما كان فيصل يترسخ لدى الجميع كضامن للم الصدع بصفته محافظا على المسافة اللائقة التي رآها مناسبة له من كل طرف: ازداد الانشقاق بين الرفاق، لتنكشف الاحتكاكات السيئة بين الجناحين، وصولا إلى المصادمات المسلحة التي تفاقمت ذورتها في 22يونيو 1969م.

***

اعتقل فيصل وهو بكامل مجده، ولم يكن أحد يتوقع اعدامه ابدا. بينما ظل قحطان رهن الاعتقال لسنوات .لكنها السابقة الخطيرة التي فتحت شلال الدم والأسى.

في الحقيقة لم يكن فيصل عبداللطيف على الإطلاق متواطئاً مع الرجعيين كما كانوا يصنفون آنذاك بل كان يتوخى الاعتدال الفكري في مساره السياسي محافظاً على عدم الانجرار وراء منطق التعميمات.

صحيح أن السياسة التي كانت تدار بها الدولة اعتباطية في مرحلة التكون، إلا أن رؤى اعتباطية بالمقابل كانت تعتقد امكانية التغيير الفوري إلى نتيجة حتمية أفضل بمراحل، وهذا هراء لا شك، خصوصاً في ظل التخلف المتراكم، والنزاعات التي يثيرها المتضررون من الثورة نفسها، فضلاً عن تربصات دول مجاورة مؤثرة في المشهد، ما سيحمل الدولة الجديدة تبعات وتوترات كان فيصل يرى امكانية تجنبها الآن على الأقل، أو حتى يتفق الجميع على الخطوة التالية بنضوج متماسك بدلا من مخاطر التشدد الأيديولوجي.. وبس.

•فيصل عبداللطيف

والحاصل أن ذلك النزاع كان جزءاً من تنافس أكبر بين التيارين ليس من البساطة تحجيمه بالذات مع نوايا الاستئثار ما بين الميكافيلية والمثالية.

على أن الأزمة التي اودت بحياة فيصل الشعبي وعمره لم يتجاوز 34عاماً قادت إلى أزمات أخرى أكثر حدة ومأساوية للأسف.

***

كان لفيصل عديد مقترحات توفيقية لم يستوعبها احد كما ينبغي. كان له وجهة نظر مثلما كان لمن يناوئونه من الطرفين وجهتا نظرهما أيضاً. لكنها الدوافع البشرية كما هو معلوم تقودنا إلى حماقات مرعبة، وهي وحدها كدوافع بشرية يحدث أن تجعلنا نرتقي على الاخفاقات ونسمو عن السير مرة أخرى في أي طريق له أن يؤدي لها مجدداً."هذا مايجب "

ويقول التاريخ العربي -اليمني بالذات- أنه في عصر السلطة يحدث أن يتخلى سياسيون عن مثاليتهم التي كانوا ينادون بها خصوصاً إذا لم يضبطوا امزجتهم على المسؤولية النوعية الملقاة على عاتقهم مايعني استغلال النفوذ بشكل خاطئ. كذلك فإن الشمولية في الجنوب والشمال على حد سواء استنفذت طاقة الشعب والدولة كثيراً طوال عقود ما بعد الثورتين. لكن بالتدريج يعتذر القادة الكبار عن اخطائهم بدافع تجاوز مثل تلك التجارب القاسية وهذا ما اثبته قادة في الحزب الاشتراكي لاحقاً خصوصاً بعد طامة 86، عبر النقد الذاتي وتقييم التجربة دون دوغمائية وبشجاعة رفيعة كما دون مغالاة أو تعصب. فيما تتجلى المفارقة حين نرى من يندبون مصير الفقيد الكبيرفيصل عبداللطيف مخالفين لمبدئه الوطني أساساً.

وفي السياق لنا أن نلاحظ في تاريخ الحزب الاشتراكي أو عبر المكونات التنظيمية التي تأسس منها في الشمال والجنوب كيف همدت الخيلاء والتهور لدى قادته رويداً رويداً حتى تكثفت غاية الحزب تماماً في التزام وحيد تمثل في الديمقراطية والشراكة وحلم الدولة المدنية في المواطنة والحريات والانفتاح، وهذا التطور يحسب له .

***

إن فقدان الحركة الوطنية في اليمن مبكراً لفيصل عبداللطيف الشعبي فقدان لا يعوض؛ ما بالكم وقد اثبتت الايام أنه لم يكن مخطئاً في أغلب تصوراته الثاقبة والحكيمة والنوعية. ثم أن المجتمعات المحترمة لم تتخلص من أزماتها البنيوية العميقة إلا بعد استيعابها لقيمة عدالة الانصاف والتسامح والتصالح، فالتاريخ مرايا الشعوب للايجابيات والسلبيات، وذاكرة التاريخ للعبر بحلوها ومرها.

ولئن كان فيصل عبداللطيف وسيظل بمثابة بطل خالد ودرس قيمي وأخلاقي يستوعب، فإن ما تعرض له والرئيس قحطان في تلك الحقبة الضارية وصمة عار كبيرة في جبين من لا يزال غير شاعر بها.

الخلاصة أن الأحلام العظيمة تحتاج إلى مناهج راجحة لا إلى مجرد احتمالات غير موضوعية وغير حيوية بالغة التهور، إذ كما نعرف لم يستفق الرفاق على حقيقة ماحصل إلا مع صدمة تفاقم الخسارات الفادحة التي لم يتوقعها أحد.

***

لعلنا في هذا البروفايل السريع عن شخصية خصوصية كفيصل عبدالطيف الشعبي نبدي "قلقنا وحزننا-لاشك- من نتائج الأمور الاقصائية الضارية التي كانت سائدة في ما مضى بينما لاتزال إلى اليوم تلقي بتأثيرها على الحركة الوطنية للأسف. والمعنى أنه يجب علينا جميعاً الإيمان التام بأن "مرحلة المكاشفة والإنصاف للشخصيات العظيمة التي ظلت منسية أو مهملة هي مرحلة مهمة من تطور المجتمع، عبر تقدم الوعي السياسي للنخبة بالذات" ضداً من التضليل والحجب وسوء التقدير الذي مازال قائماً على نحو غير مشرف ضد عديد شخصيات كبيرة في تاريخ اليمن المعاصر.

نعم.. لسياسة استثمارية ناجحة.